أحمد ديدات

مفهوم العبادة في الإسلام

مكتبة ديدات

١٣

ترجمة
علي عثمان



أحمد ديدات

مفهوم العبادة في الإسلام

ترجمة

علي عثمان

المختار الإسلامي
للنشر والتوزيع والتصدير
١٦ شارع كامل صدقي بالفجالة
القاهرة ت ٩١١٣٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الإنسان هذا الكائن العجيب الذى خلق لأجل غاية محددة المعالم ألا وهى عبادة الله عز وجل .

فقد قال تعالى :

"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين" .

وقال تعالى :

"أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون" صدق الله العظيم

ولقد وفر الله للإنسان كافة السُبل للتيسير على الإنسان لعبادته على الوجه الأكمل فمهد له الأرض وسلك له فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرج به

ثمرات مختلفة الألوان والأشكال ثم أرسل له الرسل مبشرين ومنذرين ليحقوا الحق ولو كره الكافرون .

والعبادة فى الاسلام هى الجوهر وهى الأساس لهذا الدين العظيم فقد جاء فى الحديث "الدعاء هو العبادة" .

ثم أن كل عمل صالح عبادة وتقرب إلى الله عز وجل فالصلاة عبادة وهى من أعظم القربات إلى الله عز وجل .

والصيام عبادة والزكاة عبادة والحج عبادة وكفالة اليتيم عبادة وجماع الرجل لأهله عبادة ورفع الرجل اللقمة إلى فم زوجته عبادة وله بها أجر .

حتى أن أدنى الأشياء إذا فعلت (كإماطة الأذى عن الطريق) وأريد بها وجه الله عز وجل عبادة وتقرب إلى الله يثاب عليها صاحبها لقول الرسول

صلى الله عليه وسلم :

"الاسلام بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" .

وكما قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه" .

الصلاة

تعتبر الصلاة من أعظم وأفضل العبادات على الإطلاق فهي جوهر الاسلام والفرقان بين الكفر والإيمان فقد قال عليه الصلاة والسلام : "رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد

في سبيل الله" .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا" متفق عليه[٦]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضته شيئا قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل منها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر أعماله على هذا ؟!" رواه الترمذي .

وقال عليه الصلاة والسلام : "إن أول مايحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله" رواه الطبرانى .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله أى الأعمال أفضل قال: الصلاة على وقتها وقلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله" متفق عليه .

- ولأهمية الصلاة فى الاسلام فقد كانت آخر وصية للرسول صلى الله عليه وسلم (الصلاة .. الصلاة .. وما ملكت أيمانكم) .

فاجعلها أخى المسلم نصب عينيك فهى أول مايحاسب عليه العبد فإذا قبلت قبل الله أعمالك كلها وإذا رفضت رفض سائر عملك ورد إليك ولقد

سئل أهل النار عن سبب دخولهم النار فقالوا كما حكى القرآن الكريم عنهم .

"ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين" .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة" رواه مسلم

وكان صحابة رسول الله رضوان الله عليهم ما يروا شيئا تركه كفرا غير الصلاة فاحذر عبد الله من السقوط فى الهاوية. وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله

وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وحسابهم على الله عز وجل" رواه البخارى ومسلم

أما اذا استحلوا هذه الأشياء ووقعوا فى الحرام فقد استحلت دماءهم . وعن ام سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنه يستعمل عليكم امراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم قالوا يارسول الله ألا نقاتلهم قال لا ماصلوا" رواه مسلم

وهذا ماوفقنى الله لجمعه أخى المسلم عن الصلاة وفضلها وعقوبة تاركها فأسأل الله أن يجعلنا وإياك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ولقد حذر القرآن الكريم من التهاون فى الصلاة وتأخيرها عن وقتها فقال عز من قائل :

"فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون" .

والويل كما قال المفسرون هو واد في جهنم لو أزيحت إليه جبال الدنيا لذابت من شدة حره وهو مكان أعد للمتكاسلين عن الصلاة المتهاونين فيها قال ابن عباس رضى الله عنه إنهم لم يتركوها بالكلية بل يؤخرونها حتى يخرج وقتها فلا يصلون الظهر حتى العصر ولا يصلون العصر حتى المغرب ولا يصلون المغرب حتى العشاء ولا يصلون العشاء حتى الفجر ولا يصلون الفجر حتى خروج الشمس هؤلاء لهم الويل والعذاب جزاء لفعلتهم هذه وتهاونهم فى الصلاة وتضيعهم لها ونعوذ بالله من الخذلان .

ولقد ركزت حديثى أيها القارئ الكريم عن

الصلاة فهى عمود الاسلام وركنه الركين التى اقتربت من الضياع كما اخبرنا الصادق المصدوق فى ذلك فقال تنقص عرى الاسلام عروه عروة أولها لا إله إلا الله وآخرها الصلاة أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

ولقد أصبح هم جم غفير من الشباب اليوم المكث بالساعات أمام التلفاز لمشاهدة المباريات والتمثيليات الماجنة والمسرحيات الفاجرة وضيعوا الصلاة والاسلام ونقضوا عرى الاسلام عروه عروة نعوذ بالله من ذلك فلم يعد إلا القليل ممن يلتزمون بالاسلام ويطبقونه نسأل الله أن يجعلنا منهم والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل وسلام على المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ....

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك غفور رحيم ...

رب اغفر لى ولوالدى وللمسلمين آمين .

على عثمان

إساءة فهم مفهوم العبادة فى الإسلام

لقد أسئ فهم مفهوم العبادة فى الإسلام من الكثير من الناس ومنهم بعض المسلمين : فالعبادة Worship (الديانة) عادة تفهم على أساس أنها تتمثل فى الطقوس مثل الصلاة والصيام والصدقات ..... إلخ

وهذا الفهم المحدود للعبادة يمثل جزءا واحدا فقط من مفهوم العبادة فى الاسلام وهذا يوضح لماذا نجد أن المعنى التقليدى للعبادة فى الإسلام هو تعريف شامل يحتوى تقريبا على كل مايتعلق بأنشطة الأفراد والتعريف قد يكون هكذا "العبادة هى فعل كل شئ يحبه الله من الأفعال والنيات الداخلية والكلام لكل فرد .

أو بمعنى آخر (العبادة Worship هى كل شئ

يقوله الفرد أو يفعله ابتغاء مرضاة الله . وذلك بالطبع يشمل على كل الشعائر والمعتقدات والأنشطة الاجتماعية والمجهودات الفردية من أجل رفاهية الجنس البشرى.

فالاسلام ينظر للفرد ككل فهو مطالب بأن يجند نفسه تماما فى خدمة الرب GOD كتعليمات القرآن للرسول محمد لينفذها وهى "قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" .

والنتيجة الطبيعية لهذا الخضوع هى أن كل أنشطة الفرد لابد أن تنفذ تعليمات من يخضع الفرد له وهو (الله) .

والاسلام كأسلوب للحياة يتطلب أن يكيف أتباعه حياتهم وفقا لتعاليمه فى كل مجال سواء

كان دينيا أو أى شئ آخر .

وقد يبدو هذا غريبا لبعض الناس الذين يتخيلون أن الدين هو علاقة شخصية بين الفرد وربه دون أى تأثير على أنشطة الفرد خارج شعائره الدينية[1]

والحقيقة أن الاسلام لايدعو إلى شعائر مجردة تؤدى بطريقة ميكانيكية بدون أى تأثير على حياة الأفراد الشخصية .

فالقرآن يخاطب أتباعه وجيرانهم من بين أهل الكتاب الذين يتجادلون معهم بشأن تغيير اتجاه القبلة فى الآية التالية :

"ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة

---

(١) كما فعلت العلمانية وقامت بفصل الدين عن الدولة ونظم الحكم وربطته بالمسجد فقط راجع فى ذلك الله فى العقيدة المسيحية .

والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون"

(البقرة: ١٧٧)

فالأعمال المذكورة فى الآية السابقة هى أعمال البر التى هى جزء واحد فقط من العبادة وقد قال لنا رسول الله عن الايمان الذى هو أساس العبادة كما وصفه بأنه بضع وستون شعبة (أو بضع وسبعون شبعة) اعلاها لا إله إلا الله (وهى الايمان بوحدانية الله وادناها (فى العبادة) رفع الأذى عن الطريق)(١)

---

(١) راجع المقدمة .

ينظر الاسلام الى العمل المحترم اللائق على أنه نوع من العبادة فالرسول يقول من بات كالا من عمل يده (وظيفته) غفر الله له أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

والبحث والمعرفة والتعليم واحد من أرفع المنازل فى العبادة فالرسول ينصح أتباعه فيقول : "طلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة" وقال : "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" أى من الولادة حتى الوفاة وكما قال : صلى الله عليه وسلم فيما معناه لغدوه أو روحه (طلب العلم) فى سبيل الله خير من عبادة ٧٠ سنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

- والتكافل الاجتماعى والتعاون جزء من العبادة حينما يكون ابتغاء لمرضاة الله كما يقول الرسول

صلى الله وسلم (البسمة فى وجه أخيك صدقة) .

كما أن مساعدتك لأى شخص لكى يحمل على دابته صدقة ووضع الماء فى خزان جارك صدقة أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وجدير بالذكر أن مجرد قيام المرء بواجبات عمله تعتبر نوعا من العبادة فالرسول صلى الله عليه وسلم قال لنا أنه مهما أنفق الفرد من أجل عائلته وأسرته إذا كان كسبه من طريق الحلال ليعفهم عن السؤال فله به صدقة أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

كما أن المعروف الذى يبذله الفرد من أجل أسرته شعبة من شعب العبادة مثل رفع اللقمة إلى فىّ (فم) زوجته فله بها صدقة كما أخبرنا الرسول

الكريم صلوات ربى وسلامه عليه .

وليس ذلك فقط بل أيضا حتى التصرفات التى نستمتع بأدائها كثيرا كما وضح الرسول فإنها تعتبر من ضمن العبادة كما ورد بالحديث الشريف.

فعن أبى ذر رضى الله عنه قال :

"أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال : "أو ليس قد جعل الله لكم ماتصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة وفى بضع أحدكم صدقة" .

قالوا يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال "أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر" رواه مسلم

وذلك يعنى أن إتيان الرجل لأهله نوع من أنواع القرب والعبادة .

- وهكذا ينظر الاسلام إلى الجنس ليس كشئ يجب على المرء تجنبه لكنه يعتبره خطيئة حينما يمارس خارج الحياة الزوجية (وطبقا لمقتضيات الشريعة الاسلامية) .

مما سبق يتضح لنا أن مفهوم الايمان والعبادة فى الاسلام مفهوم شامل يحتوى على كل الأنشطة الايجابية للأفراد ويتفق ذلك بالطبع مع الطبيعة الشاملة للإسلام كطريقة للحياة فهو يهتم بالحياة

الانسانية وينظمها فى جميع مراحلها (مستوياتها) : الفرد - المجتمع - الاقتصاد - السياسة - الروحانيات .

ولذلك نرى لماذا يهتم الاسلام بأقل التفاصيل فى حياة الفرد فى جميع تلك المستويات واتباع تلك التفاصيل بمثابة اتباع تعليمات الاسلام فى هذا المجال وإنه لعنصر مشجع أن يدرك الفرد أن جميع أنشطته فى أعمال عبادة الله .

وذلك يقود الفرد لأن يبحث عن رضا الله فى تصرفاته ويحاول دائما أن يؤديها بأفضل الوسائل بغض النظر عن ما إذا كان مراقبا من آخرين أعلى منه أو سرا بينه وبين ربه فهناك دائما المراقب على تصرفاتنا الذى يعلم كل شئ الا وهو الله عز وجل.

- ومناقشاتنا للعبادات غير الشعائرية فى

الاسلام لاتعنى الاقلال من تقدير أهمية الشعائر كعبادة فبالفعل لو أديت شعائر العبادة بطريقة صحيحة فإنها تملأ الانسان بالقيم والروحانيات السامية وتساعده على تأدية أنشطته فى كل دروب الحياة وفقا لتوجيهات الله له ومن شعائر العبادة مايلى :

الصلاة Prayer

وهى ركن أساسى لسببين :

١ - أنها العلاقة المميزة للمؤمن عن الكافر[١].

٢ - أنها تمنع المرء من الانحراف والخطيئة بمنحه فرصة اتصال مباشر بينه وبين خالقه خمس مرات يوميا حيث يجدد فيها ولاءه وإيمانه بالله ويبحث عن هدايته أكثر وأكثر .

---

(١) راجع المقدمة .

(إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم) وبالفعل فالصلاة هى أول تعبير عملى للإيمان وأيضا أكثر الشروط الأساسية لنجاح المؤمنين قال تعالى :

"قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون" (المؤمنون : ١ ، ٢)

ونفس الحقيقة يجسدها الرسول صلى الله عليه وسلم بطريقة مختلفة فيقول ما معناه أن الذين يؤدون صلاتهم بخشوع فإنها تكون لهم نورا ودليلا على إيمانهم وتكون سببا لنجاتهم يوم القيامة فهذا حال من أحسن قيامها وركوعها وسجودها فإنها تكون له نور وبرهان أما من ضيعها فإنه يضرب بها وجهه وتكون عليه وبالا كما أخبرنا الصادق المصدوق بحديث فى هذا المعنى.

الـــزكـــاة ZAKAH

وتأتى بعد الصلاة الزكاة (وهى حق الفقراء على الأغنياء) وهى من أهم أركان الاسلام والقرآن دائما يذكر الصلاة مقترنة بالزكاة معا والزكاة كالصلاة فهى دليل على الإيمان الصادق بأن الله هو مالك الملك أى يملك كل شئ فى هذا الكون ومايمتلكه الأفراد إنما هو أمانة فى أيديهم وأن الله جعلهم أمناء (مستخلفين فيه) عليها لتوزيعها كما بين الله لهم .

فقال تعالى : "آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير" (الحديد : ٧)

وفى هذا المجال فإن الزكاة تعتبر نوعا من الطاعة والانقياد مثل الصلاة يجب أن تكون أداه لقرب

من يؤديها من ربه وإلى جانب ذلك فإن الزكاة نوع من إعادة توزيع الثروات بطريقة تؤدى إلى تقليل الفوارق بين الطبقات والجماعات [1] وتساعد على توطيد أركان المجتمع وتطهير روح الأغنياء من الأنانية وتطهير روح الفقراء من الحقد والكراهية للمجتمع فهى تسد القنوات التى تؤدى إلى الكراهية الطبقية وتجعل من الممكن أن تعم روح الأخوة والتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع على حد سواء (الفقراء والأغنياء) .

ومثل هذا الشئ يعتمد كلية على المشاعر الشخصية للأغنياء لكنه ينبنى على مبدأ الحق

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لافرق بين أبيض وأسود إلا بالتقوى ولافرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"

صدق الله العظيم

الذى أنكره الأغنياء يتم تنفيذه بالقوة لو تطلب الأمر ذلك .

الصيـــام

والصيام ركن آخر من أركان الاسلام ومن أهم وظائف الصيام أنه يسمو بمشاعر المسلم ويجعله يصفو فى داخله مثل باقى مجالات الشريعة الأخرى التى تجعله نظيفا من الخارج ..

وبمثل هذا النقاء والصفاء والطهارة فإنه يستجيب لكل ماهو جيد وطيب ويتجنب كل ماهو خاطئ وخبيث وهذا هو مانفهمه من الآية القرآنية "ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" (البقرة : ١٨٣) .

وفى تعاليم سنة الصادق المصدوق يقول الرسول الكريم فيما يرويه عن ربه فى الحديث القدسى :

"كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به" .

فالصائم يمتنع عن الطعام والشراب والشهوة الجسدية من أجل الله فلذلك ستكون مكافأته على مستوى سخاء الله العظيم .

- كما يوقظ الصيام ضمير الفرد ويعطيه الفرصة للتدريب - فى تدريب جماعى لكل المجتمع فى نفس الوقت مما يعطى دفعة قوية لكل فرد وأكثر من ذلك فإن الصيام يمنح راحة إجبارية للجهاز الهضمى للإنسان خلال شهر رمضان وأيضا فالصيام يذكر الانسان بهؤلاء الذين يعانون من نقص ضرورات الحياة طوال العام أو حتى طول حياتهم فحينما يدرك معاناة الآخرين من الاخوة المسلمين الفقراء فإن ذلك يولد فى مشاعره كل

مشاعر العطف والشفقة عليهم من جانب الأغنياء.

الحـــج

وأخيرا نأتى للحج (إلى بيت الله الحرام) هذا الركن الهام فى الإسلام الذى يظهر توحد وانسجام المسلمين فى تجمع فريد من نوعه يبدو فيه كافة أنواع الاختلافات حيث يتجمع المسلمون من كل أنحاء الأرض وهم مرتدين نفس الثياب يلبون نداء الحج بصوت واحد وبنفس اللغة : لبيك اللهم لبيك (هاأنذا فى خدمتك وطوع أمرك ياإلهى وسيدى).

وفى الحج تدريب على ضبط النفس والتحكم فيها فلا تراعى حرمات الاشياء المقدسة فقط وإنما حتى حياة النباتات والطيور لاتنتهك حرمتها فكل شئ يعيش فى أمان قال تعالى "ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه" (الحج: ٣٠)

وقال تعالى :

"ذلك ومن يعظم حرمات الله فإنها من تقوى القلوب" (الحج : ٣٢)

والحج يعطى فرصة لكل المسلمين من كافة الجماعات والدرجات والتنظيمات والحكومات من كل بقاع أرض المسلمين ليجتمعوا سنويا فى حشد مهيب فالمكان والزمان لهذا الاجتماع حددهما لهم الله عز وجل والدعوة عامة ومفتوحة لكل المسلمين فلا يملك أحد أن يمنع أحدا من الحج وكل مسلم يؤدى الحج يكون آمن وحر طالما لم ينتهك أو يدنس بنفسه هذا المكان الآمن .

وهكذا (أخى المسلم) فالعبادة فى الاسلام أيا كانت فى صورة شعائر أو غير شعائر تدرب الفرد بطريقة ماعلى أن يحب خالقه أكثر وهكذا يتهيأ

للإنسان الرغبة والادارة كل شر واضطهاد وظلم من المجتمع الانساني وليجعل كلمة الله هى العليا فى العالم بأسره وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩١/٨٥٧٨

الترقيم الدولى ٣ - ٠١٦ - ٢٢٠ - ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١

هـذا الكتـاب

- الصلاة هى أعظم وأفضل العبادات .
- فضل الصلاة وعقوبة تاركها .
- إساءة فهم مفهوم العبادة فى الإسلام .
- أعمال البر .
- الزكـاة .
- الزكاة دليل على الإيمان الصادق .
- الزكاة دائما مقترنة بالصلاة .
- الصيـام .
- الصيام يسمو بمشاعر المسلم .
- الحـج .
- الحج تدريب على ضبط النفس والتحكم فيها .